قصة سليمان (عليه السلام) في سورة (ص)

دراسة تحليلية نقدية

إعداد الدكتور

زهير هاشم ريالات

أستاذ مساعد - جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فعلى حين فترة من الرسل، بعث الله محمداً (ﷺ) إلى الناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأنزل عليه كتاباً يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعله معجزة باهرة شاهدة على صدق دعوته. ووضع فيه قواعد عامة، وأصولاً مجملة، وآيات محكمات وأخر متشابهات، فقام النبي (ﷺ) بواجب بيان ذلك لأمته حتى تكون على علم بكتاب ربها، ودراية بما أرشد إليه من تشريعات. ثم قام بحمل الأمانة من بعده أصحابه رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان؛ فبذلوا الوسع والطاقة في خدمة كتاب الله (ﷻ)، وشمروا عن سواعد الجد، فأضحوا من علمه يغترفون، وللبحث عن كنوزه وجواهره يغوصون، نسأله سبحانه أن يجزيهم خير الجزاء على ما قدموه، وأن يجمعنا معهم في جنته إنه هو السميع المجيب.

ولكن رغم ذلك فإن مسيرة التصنيف في تفسير كتاب الله (ﷻ)، قد شابها ما يُكَدِّر بعض صفوها، ويقلل من سنا ضوئها، ويعود السبب في ذلك إلى عدة أسباب، من أهمها دخول الإسرائيليات إلى التفسير. فَوُجِدَ من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي، الذي كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها، فوضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح.

لأجل هذا، فإن من أوجب الواجبات على المتخصصين في علم التفسير، تنقية هذا العلم وتهذيبه وتصفيته مما علق به من هذه الإسرائيليات، لنعود في فهمنا لكتاب الله إلى النبع الصافي الذي لم تُكَدِّره الشوائب. وقد أحببت أن أسهم –ولو بجهد المُقِلِّ– في هذا الأمر، فاخترت تفسير آيات من سورة (ص) – وهي التي تتحدث عن قصة سليمان (عليه السلام) مع الصافنات الجياد وعن فتنة الجسد الذي أُلقي على كرسيِّه–. هذه الآيات تضمنت العديد من الإشكاليات التفسيرية، والتي تحتاج إلى دراسة واعية وتحقيق شامل، وسبب هذه الإشكاليات اعتماد كثير من المفسرين على ما نُقِل عن أهل الكتاب في تفسير هذه القصة، فاختلط الحق بالضلال والحقيقة بالخيال.

هيكل الخطة:

اقتضى البحث في هذا الموضوع تقسيمه إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة، فجاء كما يلي:

- **تمهيد:** بين يدي الآيات.
- **المبحث الأول:** سليمان (عليه السلام) والصافنات الجياد.
- **المبحث الثاني:** سليمان (عليه السلام) وفتنة الجسد.
- **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج.

وختاماً أحمد الله (عز وجل) على نعمة المتوالية العظيمة، وأشكره سبحانه على تيسيره وتوفيقه، فله الحمد في الآخرة والأولى، اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لك وحدك، لا حظَّ فيه لسواك. والحمد لله رب العالمين.

الملخـــص:

قصة سليمان (عليه السلام) في سورة (ص)
دراسة تحليلية نقدية

استهدفت في كتابة هذا البحث دراسة قصة سليمان (عليه السلام) في سورة " ص " مستخدماً المنهج التحليلي النقدي.

فإن مسيرة التصنيف في تفسير كتاب الله (عز وجل)، قد شابها ما يُكَدِّر بعض صفوها، ويقلل من سنا ضوئها، ويعود السبب في ذلك إلى عدة أسباب، من أهمها دخول الإسرائيليات إلى التفسير. فَوُجِدَ من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي، الذي كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها، فوضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح.

لأجل هذا، فإن من أوجب الواجبات على المتخصصين في علم التفسير، تنقية هذا العلم وتهذيبه وتصفيته مما علق به من هذه الإسرائيليات، لنعود في فهمنا لكتاب الله إلى النبع الصافي الذي لم تُكَدِّره الشوائب. وقد أحببت أن أسهم – ولو بجهد المُقِلِّ– في هذا الأمر، فاخترت تفسير آيات من سورة (ص) – وهي التي تتحدث عن قصة سليمان (عليه السلام) مع الصافنات الجياد وعن فتنة الجسد الذي أُلقي على كرسيِّه–. هذه الآيات تضمنت العديد من الإشكاليات التفسيرية، والتي تحتاج إلى دراسة واعية وتحقيق شامل، وسبب هذه الإشكاليات اعتماد كثير من المفسرين على ما نُقِل عن أهل الكتاب في تفسير هذه القصة، فاختلط الحق بالضلال والحقيقة بالخيال.

اقتضى البحث في هذا الموضوع تقسيمه إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة، فجاء كما يلي:

- **تمهيد:** بين يدي الآيات.
- **المبحث الأول:** سليمان (عليه السلام) والصافنات الجياد.
- **المبحث الثاني:** سليمان (عليه السلام) وفتنة الجسد.
- **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج.

SUMMARY

Solomon's story in Surah (sad) Critical study

Targeted at writing this research study Solomon's story in Surah " sad " using the analytical method cash.

The classification process in interpreting the book of Allah almighty, but what troubled some time, reduces tooth its light, due to several reasons, most importantly the Israeli entry into interpretation. It is found from commentators of redundant this books stories, who almost repels people from consideration and rely on them, they put thorns on the road engaged in interpretation, and they went to a lot of the true news beside the fabricated stories and news Rouault doesn't count.

For this, it is enjoined duties upon specialists in Tafsir, purification of this science lesson and filtered than commented from this insult, back in our understanding of the book of Allah to the net spring did not trouble him. And I loved that the stocks-and if in this update effort, you choose to interpret the verses from Surah (sad)-which talks about the story of Suleiman with alsavenat horses and body affliction who threw his chair. these verses included many problems Explanatory, which need careful and thorough investigation, because these problems adopting many commentators on Scripture quoted in interpreting this story, mingled with the right woodwork and truth with fiction.

Research this subject required dividing it into two sections and rebooted and the conclusion is as follows:

- **Preface:** in the hands of verses
- **First section:** Solomon walsavnat horses
- **Second topic:** body affliction and Solomon

Conclusion: and where the most important results

تمهيد

بين يدي الآيات

اسم السورة وسبب تسميتها:

هذه السورة تسمى سورة (ص)، كما يُنطق باسم حرف الصاد؛ تسمية لها بأول كلمة منها[١]. ويقال لها سورة داود[٢]، ويبدو أن ذكر هذا الاسم باعتبار جريان ذِكر داود (عليه السلام) فيها.

عدد آياتها:

هي خمسٌ وثمانون آية عند البصريين، وست وثمانون في عدّ المدنيين، وثمان وثمانون في عدّ الكوفيين[٣].

ترتيبها في المصحف والنزول:

ترتيب هذه السورة في المصحف هو نفسه ترتيبها في النزول، فترتيبها في المصحف ثمان وثلاثون، وترتيبها في النزول ثمان وثلاثون كذلك[٤].

---

(١) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، (٢٠١/٢٣).

(٢) انظر: السيوطي، عبدالرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، (١/ ٣٧).

(٣) انظر: الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، البيان في عدّ آي القرآن، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٩٩٤، ص٢١٤.

(٤) انظر: السيوطي، الإتقان (٣٧/١).

موضوع السورة:

سورة (ص) من السور المكية الخالصة، وشأنها شأن القرآن المكيّ، لها خصائصه وميزاته. ومن أهمّ خصائص القرآن المكيّ؛ عنايته بالعقيدة المتمثلة بأركان الإيمان، من حيث تقريرها وإقامة الأدلة عليها، ودحض الشبهات والشكوك المثارة حولها، وتزييف كل ما يضادّها، ومن حيث بيان عاقبة الكافرين بها من بوار وهلاك، وعاقبة المؤمنين بها من النصر والغَلبة.

وعلى هذا فإن الموضوع المحوريّ الذي تدور حوله آيات سورة (ص) وثيق الصلة بالعقيدة من تلك الحيثيات؛ فنبوة محمد (ﷺ)، وما يثيره المشركون من شبهات وشكوك حول ذلك، وبيان عاقبة المؤمنين والمكذبين به، كل ذلك مما تناولته سورة (ص) وتدور آياتها حوله.

ويدل على ذلك أمور عدة:

أولاً: ما ورد في مقدمة السورة من آيات وإشارات تدلّ على أنّ نبوة سيدنا محمد (ﷺ) هي المحور الرئيس الذي تدور حوله آيات السورة، وما تضمنته من مشاهد وغير ذلك. قال تعالى: **{وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذاب}** [ص: ٤]. وذكر أيضاً: **{أأنزل عليه الذِّكْر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب}** [ص: ٨].

ثانياً: هذا الحشد – غير القليل– من الأنبياء (عليهم السلام) في السورة، وما منَّ الله تعالى به عليهم من نعمة بالغة، وهبات سابغة، فالسورة تذكر داود وسليمان وأيوب وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذا الكفل وآدم (عليهم السلام). فذكر هؤلاء الأنبياء الكرام (عليهم السلام)، إنما كان تسلية للنبيّ (عليه السلام) عما كان يلاقيه من تكذيب وعناد، ولدحض مزاعم المشركين، وبيان أن الله تعالى يهب ما يشاء لمن يشاء.

ثالثاً: تتطرق السورة إلى الأقوام السابقة وتكذيبهم الرسل، وعاقبة هذا التكذيب؛ وهذا تحذير للمشركين لكي يرعووا عن تكذيب النبي (عليه السلام)، وإلا حلّ بهم ما حلّ بهؤلاء من الدمار والاندثار، وفيه تسلية لقلب المصطفى (عليه السلام)، وأنّ العاقبة له. قال تعالى: **{كذبت قبلهم قوم نوح وعاد...}**[ص:١٢].

رابعاً: ختم السورة بقوله: **{قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين}** [ص:٨٦]، فالله تعالى يأمر نبيه محمداً (ﷺ) أن يحث المشركين على النظر في حال الداعي – وهو النبي (ﷺ) – ليستدلوا من خلال تعففه (عليه السلام) عن أموالهم وزهده فيها على صدقه في دعوته؛ لأن الكذاب لا ينقطع طمعه عن طلب المال ألبتة[١].

مناسبة ذِكر قصص مجموعة من الأنبياء في هذه السورة:

قلنا إن الموضوع المحوري الذي تدور حوله سورة (ص) هو نبوة محمد (ﷺ)، وما يثيره المشركون من شبهات وشكوك حول ذلك، ولهذا ذكرت السورة قصص مجموعة من الأنبياء وما منّ الله عليهم من النِّعم، حتى يذكرها النبي محمد (ﷺ) ويدع ما يعانيه من قومه من تكذيب واتهام، ويصبر على ما يواجهونه به مما تضيق به الصدور.

وهذا القصص يعرض – في الوقت ذاته– آثار رحمة الله بالرسل قبله، وما أغدق عليهم من نعمة وفضل، وما آتاهم من ملك وسلطان ومن رعاية وإنعام، وذلك رداً على عجب قومه من اختيار الله له، وما هو ببدع من الرسل، وفيهم من

---

(١) انظر: الرقب، أحمد سليمان عوض، سورة (ص) دراسة تحليلية وموضوعية (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف الدكتور أحمد شكري، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦، ص١٤١.

آتاه الله إلى جانب الرسالة الملك والسُّلطان، وفيهم من سخر له الجبال يسبحن معه والطير، وفيهم من سخر له الريح والشياطين. فما وجه العجب في أن يختار الله محمداً الصادق لينزل عليه الذِّكْر من بين قريش في آخر الزمان؟!

كذلك يُصَوِّر هذا القصص رعاية الله الدائمة لرسله، وحياطتهم بتوجيهه وتأديبه، فقد كانوا بشراً – كما أن محمداً محمد (ﷺ) بشر– وكان فيهم ضعف البشر، وكان الله يرعاهم فلا يدعهم لضعفهم، إنما يبين لهم ويوجههم، ويبتليهم ليغفر لهم ويكرمهم. وفي هذا ما يطمئن قلب الرسول محمد (ﷺ) إلى رعاية ربه له، وحمايته وحياطته في كل خطوة يخطوها في حياته.

المبحث الأول

سليمان (عليه السلام) والصافنات الجياد

قال الله تعالى: {**ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب . إذ عُرِضَ عليه بالعَشِيِّ الصافناتُ الجِيَادُ . فقال إني أحببتُ حُبَّ الخير عن ذكر ربي حتى تَوارتْ بالحجاب . رُدُّوها عليَّ فَطَفِقَ مَسْحَاً بالسُّوق والأعناق**} [ص: ٣٠- ٣٣]

أولاً: مناسبتها لما قبلها من الآيات

جاءت قصة سليمان (عليه السلام)، بعد الحديث عن داود (عليه السلام) وما منَّ الله به عليه من النِّعم، فيمضي السياق يعرض نعمة أخرى على داود (عليه السلام) في عقبه وولده سليمان (عليه السلام)، فجُعِلَ التخلص إلى مناقب سليمان (عليه السلام) من جهة أنه من منن الله على داود (عليه السلام)، فكانت قصة سليمان (عليه السلام) كالتكملة لقصة داود (عليه السلام)، وإتماماً لما أنعم الله به على داود إذْ أعطاه سليمان (عليه السلام) ابناً بهجةً له في حياته، وورث ملكه بعد مماته، كما أنبأ عنه قوله تعالى: {**ووهبنا لداود سليمان**} الآية.

ولهذه النكتة لم تفتتح قصة سليمان بعبارة: (واذكر)، كما افتتحت قصة داود ثم قصة أيوب، والقصص بعدها مفصَّلُها ومجملُها، غير أنها لم تخلُ من مواضع أسوة وعبرة وتحذير على عادة القرآن[١].

ثانياً: اللغة

(**أواب**): آب: رجع، والأواب: كثير الأوْب أي الرجوع إلى الله بالتوبة[٢].

---

(١) انظر: ابن عاشور (٢٣/ ٢٥٣).

(٢) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت (١/ ٢١٧)؛ الزمخشري (٩٢/٤)؛ ابن عاشور (٢٣/ ٢٥٤).

(عُرِض): عَرَضَ له كذا أي ظهَرَ. وعرضْتُه له: أظْهَرْتُه له وأبْرَزْتُه إليه. وعَرَض الجند: إذا أمَّرَهم عليه ونظر ما حالُهم. فالعرض إذن: هو الإمرار والإحضار أمام الرائي(١).

(العَشِي): وقت العشي هو ما بين العصر إلى الغروب. وهذا الذي عليه أكثر المفسرين(٢).

(الصافنات): المقصود بها الخيل، والصافنات جمع صافن. وصفون الخيل: أن تقوم على ثلاث، وترفع رجلاً واحدة حتى يكون طرف الحافر على الأرض(٣).

(الجياد): الجيّد: نقيض الرديء، وجاد الشيء جُودة وجَودة أي صار جيِّداً، والجياد: جمع جواد وهو الشديد الجرْي، كما أن الجواد من الناس هو السريع البذل(٤).

(أحببتُ): آثرتُ واخترتُ(٥).

(الخير): المال النفيس. والخيل من المال النفيس. وقال الفراء: الخير – بالراء– من أسماء الخيل(٦).

---

(١) انظر: لسان العرب (٧/ ١٦٥)؛ الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥، ص١٧٨؛ ابن عاشور (٢٣/ ٢٥٤).

(٢) انظر: لسان العرب (١٥/ ٦٠)؛ مختار الصحاح ص١٨٣؛ الرازي (٩/ ٣٨٩)؛ ابن عاشور (٢٣/ ٢٥٤).

(٣) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٤٧)؛ مختار الصحاح ص١٥٣؛ الطبري (٢٣/ ١٥٤).

(٤) انظر: لسان العرب (٣/ ١٣٥)؛ مختار الصحاح ص٤٩؛ الرازي (٩/ ٣٩٠).

(٥) انظر: مختار الصحاح ص٥١.

(٦) انظر: ابن عاشور (٢٣/ ٢٥٥).

(توارت): اختفت واستترت[١].

(الحجاب): الستر. حَجَبَ الشيء يحجبه حَجْباً وحِجاباً وحجَّبَه: ستره. والحجاب: اسم ما احتُجِبَ به، وكل ما حال بين شيئين: حجاب[٢].

(ردُّوها عليَّ): الارتداد: الرجوع. فمعنى ردُّوها عليّ أي: أرجعوا الخيل إلَيَّ[٣].

(فطفِقَ): طفق يفعل كذا أي جعل[٤].

(مسحاً): المسح إمرار اليد على الشي لإزالة ما عليه من غبش أو ماء أو غبار وغير ذلك مما لا يُراد بقاؤه على الشيء[٥].

(بالسُّوقِ): جمع ساق، وهي ساق القدم[٦].

(الأعناق): الأعناق جمع عنُق، وهو الرقبة. قال ابن منظور: العُنْقُ والعُنُقُ: وُصْلة ما بين الرأس والجسد، يُذَكَّر ويؤنث[٧].

ثالثاً: اللطائف

{نِعْمَ العبد إنه أواب}:

قال -**أولاً**-: (نِعم العبد) ثم قال - بعده-: (إنه أواب). وجملة (إنه أواب) تعليل للثناء عليه بـ(نِعم العبد)، وهذا يدل على أنه إنما كان (نِعم العبد) لأنه كان أواباً، فيلزم أن كل من كان كثير الرجوع إلى الله تعالى كان موصوفاً بأنه (نِعم

---

(١) انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٨٦)؛ مختار الصحاح ص٢٩٩؛ ابن عاشور (٢٣/ ٢٥٦).
(٢) انظر: لسان العرب (١/ ٢٩٨)؛ مختار الصحاح ص٥٢.
(٣) انظر: مختار الصحاح ص١٠١؛ ابن عاشور (٢٣/ ٢٥٦).
(٤) انظر: مختار الصحاح ص١٦٥.
(٥) انظر: ابن عاشور (٢٣/ ٢٥٧).
(٦) انظر: مختار الصحاح ص١٣٥؛ ابن عاشور (٢٣/ ٢٥٧).
(٧) انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٧١)؛ ابن عاشور (٢٣/ ٢٥٧).

العبد)؛ وذلك لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به، ورأس المعارف معرفة الله، ورأس الطاعات الاعتراف بأنه لا يتم شيء من الخيرات إلا بإعانة الله تعالى، ومن كان كذلك كان كثير الرجوع إلى الله فكان أواباً، فثبت أن كل من كان أواباً وجب أن يكون (نِعْمَ العبد) [١].

{إنه أواب، إذ عرض}:

(إذ عرض) يتعلق بـ(أواب). وتعليق هذا الظرف بـ(أواب) تعليق تعليل لأن الظروف يراد منها التعليل كثيراً؛ لظهور أن ليس المراد أنه أواب في هذه القصة فقط لأنّ صيغة (أواب) تقتضي المبالغة، والأصل منها الكثرة، فتعين أن ذكر القصة من حوادث أوبته لأنها ينجلي فيها عِظَمُ أوْبَته[٢].

{الصافنات الجياد}:

قال الرازي: "وصفها بالصفون والجودة، ليجمع لها بين الوصفين المحمودين: واقفة وجارية، يعني: إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كانت سِراعاً خفافاً في جريها"[٣].

ولتوضيح كلام الرازي نقول: لقد وصفت الآية خيل سليمان (عليه السلام) بصفتين: الصافنات، والجياد. والصفن حركة لطيفة للفرس عند وقوفها، حيث تقف على ثلاثٍ من قوائمها الأربع، أما الرابعة من قوائمها فإنها ترفعها وتثنيها، وتجعل طرف حافرها على الأرض، والخيل الجياد هي الخيل النجيبة التي تجود في سيرها

---

(١) انظر: ابن عاشور (٢٣/ ٢٥٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢٣/ ٢٥٤).

(٣) الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧، (٩/ ٣٨٩).

وعَدْوِها، فهي تبذل جهدها في عدْوها، فيأتي عدوها سريعاً. فالصافنات تصوير للخيل عند وقوفها، والجياد تصوير للخيل عند عدْوِها[1].

رابعاً: التفسير والبيان[2]:

اختلفت كلمة المفسرين قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية، فذهب كثير منهم إلى أن سليمان (عليه السلام) عرضت عليه الخيل في وقت العشي وبدأ يتفقدها، وكانت من الكثرة بحيث شغلته عن صلاة العصر حتى غربت الشمس وتوارت بالحجاب، وهذا معنى قوله: {فقال إني أحببتُ حبّ الخير عن ذِكْرِ رَبي حتى توارت بالحجاب} أي آثرتُ حبَّ الخيل على ذكْرِ ربي أي على الصلاة حتى توارت الشمس بالحجاب أي غربت، ثم أراد أن يكفِّر عما حدث منه من ذنب فقال: رُدُّوها عليَّ، أي رُدُّوا الخيل عليَّ. فلما رَدُّوها بدأ يقطع سوقها وأعناقها.

وذهب بعض الأئمة إلى تأويل الآيات على غير هذا النحو، حيث قالوا: لما عرضت الصافنات الجياد على سليمان (عليه السلام) وقت العشي، حمد الله على ما أنعم به عليه منها، وقال: {إني أحببتُ حبّ الخير عن ذكر ربي} أي إني أحببتُ

---

(١) انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٨، (٤٨٣/٣).

(٢) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفِكر، ١٩٨٨، (٢٣/ ١٥٣- ١٥٦)؛ الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ٢٠٠١، (٤/ ٩٢- ٩٤)؛ الرازي (٩/ ٣٨٩- ٣٩٢)؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م (٤/ ٣٤-٣٥)؛ القصص القرآني (٣/ ٤٨٢- ٤٨٧)؛ عباس، فضل حسن، قصص القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، ط١، ٢٠٠٠م، ص٦٤٢- ٦٤٤.

الخيل حباً كثيراً وآثرتُ حبها، وحبي لها عن ذكر ربي ومن أجل ذكر ربي وبسبب ذكر ربي[1]، فكأنه ذاكرٌ لربه عندما يحب الخيل، فحبه لها ذكرٌ منه لله، إذ يحمد الله ويشكره على إنعامه عليه بها، فكلما يراها يشكر ربه ويذكره، كما أنّ إعداده لها وإشرافه عليها صورةٌ من صور عبادتِه وذِكْرِه لربه.

وبقي ينظر إلى الخيل السابحة في الميدان، حتى توارت واختفت وراء شيء كان يحجبها عنه، كأنْ يكون جبلاً أو تلاًّ. ولما توارت وغابت عن ناظريه قال: (رُدّوها عليَّ) أي أعيدوها وأرجعوها إليّ، فأعادوها له، ولما رآها أمامه صار يمسح عليها: {فطفق مسحاً بالسُّوقِ والأعناق} والمعنى أن سليمان (عليه السلام) صار يمسح على سيقان وأعناق الخيل؛ ملاعبةً منه للخيل وتكريماً لها، وإظهاراً لاهتمامه بها ومحبته لها.

وهذا المعنى مروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) حيث قال: "جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها". قال الطبري بعد أن ذكر قوله: "وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية"[2].

والراجح عندي هو الرأي الثاني لما يلي:

١- عدم استناد الرأي الأول على آية مُحْكَمة أو سُنَّة ثابتة، بل هو لا يعدو أن يكون من الإسرائيليات، وقد اتفقنا على أنها مطروحة على قارعة الطريق.

---

(١) من معاني حرف الجر (عن) التعليل، كما في قوله تعالى: (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) (التوبة: ١١٤) أي بسبب وعد وعده إياه. انظر: مغني اللبيب (٢٣٧/١).

(٢) الطبري (٢٣/ ١٥٣).

٢- إنه أليق بالأنبياء، فلا يُعقل أن نبياً يمكن أن يحدث منه مثل هذا؛ فينشغل عن صلاة العصر إن كانت هناك صلاة عصر مفروضة عليهم.

٣- هذا القول يتفق مع قواعد التفسير الصحيح التي نص عليها العلماء وهي الاعتماد على صحيح المأثور واللغة والسياق والمقاصد التي أُنزل من أجلها القرآن الكريم.

وقد حَلَّق الرازي وأجاد وأبدع وهو يردّ على أصحاب القول الأول؛ فعندما تكلَّم عما يعود إليه الضمير في قوله (توارت) وقوله (رُدُّوها) ردّ على الذين قالوا بعودة الضمير إلى الشمس ورجَّح أنه عائد على الخيل، واستدلّ بالأدلة التالية[١]:

١- الصافنات مذكورة تصريحاً، والشمس غير مذكورة. وعود الضمير إلى المذكور أوْلى. وأقرب المذكورين هو الصافنات الجياد.

٢- لو حكمنا بعوْد الضمير في قوله حتى توارت إلى الشمس وحملنا اللفظ على أنه ترك صلاة العصر كان هذا منافياً لقوله: **{أحببتُ حبَّ الخير عن ذِكْرِ ربي}** فإن تلك المحبة لو كانت عن ذكر الله لما نسي الصلاة ولما ترك ذِكْرَ الله.

وقال أيضاً في الرَّد على من فسَّر مسح السوق والأعناق بقطعها[٢]:

١- لو كان معنى مسح السوق والأعناق قطعها لكان معنى قوله تعالى: **{وامسحوا برؤوسكم}** [المائدة: ٦] قطعها. وهذا مما لا يقوله عاقل.

---

(١) انظر: الرازي (٩/ ٣٩٠).

(٢) المصدر السابق (٣٩١/٩).

٢- القائلون بهذا القول جمعوا على سليمان (عليه السلام) أنواعاً من الأفعال المذمومة، فأوَّلها: ترك الصلاة، وثانيها: أنه استولى عليه الاشتغال بحب الدُّنيا حتى نسي الصلاة.

٣- أنه بعد الإتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والإنابة.

٤- هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقيب قوله: **{وقالوا ربنا عجِّل لنا قِطّنا قبل يوم الحساب}** [ص: ١٧]، وأن الكفار لما بلغوا في السفاهة إلى هذا الحدّ قال الله تعالى لمحمد (صلى الله عليه وسلم): اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود. وذَكَرَ قصة داود ثم ذَكَرَ عقيبها قصة سليمان (عليه السلام). وكان التقدير أنه تعالى قال لمحمد (عليه السلام): اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان (عليه السلام). وهذا الكلام إنما يكون لائقاً لو قلنا إن سليمان (عليه السلام) أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة، والأخلاق الحميدة، وصبر على طاعة الله، وأعرض عن الشهوات واللّذات، أما لو كان المقصود من قصة سليمان في هذا الموضع أنه أقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذِكْر هذه القصة لائقاً بهذا الموضع.

المبحث الثاني
سليمان (عليه السلام) وفتنة الجسد

قال تعالى: {**ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب . قال ربِّ اغفر لي وهبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنَّك أنت الوهاب**} [ص: ٣٤-٣٥].

أولاً: المناسبة

هذه الآيات استمرار في الحديث عن سليمان (عليه السلام) فتكلمت عن قصة أخرى حصلت معه، فهي كما قال الرازي: "شرح واقعة ثانية لسليمان (عليه السلام)"[١].

ثانياً: اللغة

(فتنا): الفتنة: الاختبار والامتحان، وافتُتِنَ الرجل وفُتِنَ فهو مفتون إذا اختبر.[٢]

(كرسيه): الكرسي في اللغة: الذي يعتمد عليه ويجلس عليه.[٣]

(جسداً): ما لا روح فيه.[٤]

(أناب): أناب إلى الله: أقبل وتاب.[٥]

(لا ينبغي): لا يتأتّى ولا يكون ولا يعطى لأحدٍ من بعدي.[٦]

---

(١) انظر: الرازي، (٩/ ٣٩٢).

(٢) انظر: لسان العرب (١٣/ ٣١٧)؛ مختار الصحاح ص٢٠٥.

(٣) انظر: لسان العرب (٦/ ١٩٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (٣/ ١٢٠)؛ النيسابوري، غرائب القرآن(٢٣/٩١).

(٥) انظر: مختار الصحاح ص٢٨٥.

(٦) انظر: المصدر السابق ص٢٤؛ الزمخشري (٤/ ٩٦)؛ ابن عاشور (٢٣/ ٢٩٢).

ثالثاً: اللطائف

{ثم أناب}: عطفه بـ(ثم) – وكان الظاهر الفاء كما في قوله (فاستغفر ربه)– إشارة إلى استمرار إنابته وامتدادها، فإنّ الممتد يعطف بها نظراً لأواخره، بخلاف الاستغفار فإنه ينبغي المسارعة إليه(١).

{قال ربِّ اغفِر لي وهَبْ لي مُلكاً}: دلّت على أنه يجب تقديم مهم الدّين على مهم الدنيا، لأنّ سليمان (عليه السلام) طلب المغفرة أولاً ثم طلب المملكة، وأيضاً تدلّ على أن طلب المغفرة من الله سبب لانفتاح أبواب الخيرات في الدنيا، لأن سليمان (عليه السلام) طلب المغفرة أولاً ثم توسَّل به إلى طلب المملكة، ونوح (عليه السلام) هكذا فعل عندما قال لقومه: {استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم مدراراً . ويمددكم بأموال وبنين} [نوح:١٠– ١٢](٢).

رابعاً: التفسير والبيان(٣)

أشارت الآيات إلى حدَث عظيم حلَّ بسليمان (عليه السلام)، واختلفت أقوال المفسِّرين في تعيين هذه الفتنة، فذكر كثير منهم قصصاً هي بالخرافات أشبه، ومقام سليمان (عليه السلام) عن أمثالها أنزه –كما قال ابن عاشور–(٤).

---

(١) انظر: الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر، عناية القاضي وكفاية الراضي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، (٨/ ١٥٠).

(٢) انظر: الرازي (٩/ ٣٩٤)؛ الزمخشري (٤/ ٩٦).

(٣) انظر: الطبري (٢٣/ ١٥٦– ١٦٠)؛ الزمخشري (٤/ ٩٥– ٩٧)؛ الرازي (٩/ ٣٩٢– ٣٩٤)؛ ابن كثير (٤/ ٣٥– ٤٠)؛ ابن عاشور (٢٣/٢٥٩–٢٦٣)؛ الصابوني (٣/٥٩– ٦٢)؛ الظِّلال (٥/ ٣٠٢٠)؛ قصص القرآن الكريم (ص٦٤٤– ٦٥٠)؛ القصص القرآني (٣/ ٤٨٨– ٤٩٦).

(٤) انظر: ابن عاشور (٢٣/٢٥٩).

وخلاصتها أن سليمان (عليه السلام) وافق امرأته الكافرة على الكفر بالله، وصنع لها صنماً في قصره لتعبده من دون الله، فعاقبه الله على ذلك، وكان يحكم الجنّ والشياطين بخاتمه السحري، فأذِن الله للشيطان المارد أن يتزيّا بزيِّه، فأخذ الخاتم منه، واستلم الحكم من بعده، وبقي على هذا عدة أسابيع مفتوناً منزوعاً حُكمه، ثم عاد له حُكمه بعد ذلك، بعد أن استخرج الخاتم من بطن سمكة، ثم وضع المارد في صندوق وألقاه في قعر البحر. هذه إسرائيليات مكذوبة باطلة، واردة في أسفار العهد القديم المحرَّفة، وقد استهوت هذه الإسرائيليات بعض المفسِّرين والمؤرخين، فأوردوها في كتبهم، وفسَّروا بها كلام الله!

ولكن في المقابل نجد كثيراً من المفسِّرين لم يقبل بهذه الإسرائيليات، وفي مقدمتهم الرازي الذي ذكر كلاماً طويلاً في الردّ على من فسَّر القرآن بها. وأيضاً من العلماء الذين ردوا هذه الإسرائيليات: الزمخشري، حيث قال بعد أن ذكر بعضها: "ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا: هذا من أباطيل اليهود، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل"[1].

ومنهم أيضاً ابن كثير حيث ذكَر بعض هذه الإسرائيليات ثم قال[2]: "وأرى هذه كلها من الإسرائيليات ومِن أنكرِها ما قاله..."[3] . وقال بعد ذِكر تفسير ابن عباس للجسد بأنه الشيطان الذي سُلط على سليمان (عليه السلام): "إسناده إلى ابن عباس (رضي الله عنهما) قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه -إن صحّ عنه- من أهل الكِتاب، وفيهم

(١) الزمخشري (٤/ ٩٦).
(٢) ابن كثير (٤/ ٣٧).
(٣) ابن كثير (٤/ ٣٧).

طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان (عليه السلام) فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في هذا السياق منكرات"[١].

والذين لم يعتمدوا على الإسرائيليات في تفسير هذه الآيات، ذهب كثير منهم إلى تفسيرها بناءً على الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: "قال سليمان بن داود: لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة، تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقُل، ولم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقيه، فقال النبي (ﷺ): لو قالها لجاهدوا في سبيل الله".[٢]

يحتمل أن يكون هذا الحديث تأويل للآية، ولكن ليس في كلام النبي (ﷺ) أنه تأويل لها، والبخاري لم يذكر الحديث في كتاب التفسير من "صحيحه" ، فلو كان يراه تفسيراً للآية لذكره في كتاب التفسير. ولذلك رجح شيخنا الدكتور فضل عباس أن لا يكون الحديث تفسيراً للآية الكريمة[٣].

على أن للعلماء تفسيرات أخرى لهذه الآية، وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيرها وجوهاً [٤]:

منها: قوله: **{ولقد فتنا سليمان}** بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه **{وألقينا على كرسيه)** منه **{جسداً}** وذلك لشدة المرض، والعرب تقول في الضعيف إنه لحم

---

(١) ابن كثير (٤/ ٣٧).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء (١٢٦٠/٣) حديث رقم (٣٢٤٢).

(٣) انظر: قصص القرآن الكريم ص٦٤٧.

(٤) انظر: الرازي (٩/ ٣٩٣ – ٣٩٤).

على عضم وجسم بلا روح {**ثم أناب**} أي رجع إلى حال الصحة. ولعل دلالة السياق تشير إلى ذلك؛ فذِكْر فتنته بعد الحديث عن فتنة داود وهي فتنة الحكم، وقبل الحديث عن فتنة أيوب وهي فتنة المرض؛ تومئ إلى تعرضه لكلا الفتنتين(١).

ومنها: أن الله ابتلاه بتسليط خوف أو توقع بلاء من بعض الجهات عليه، وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي، ثم إنه أزال الله عنه ذلك الخوف وأعاده إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب.

وقد رجَّح الدكتور فضل عباس الرأي الذي يقول بأن سليمان (عليه السلام) كان له ابن يحبه فأخذه الله، فجيء به على كرسي وحزن عليه كثيراً، وكأنما كان ينتظر له مستقبلاً مشرقاً، فكان منه ما كان بعد ذلك، {قال ربّ اغفر لي} فحسنات الأبرار سيئات المقرّبين.(٢)

هذه بعض التأويلات التي ذكرها العلماء في تفسير هذه القصة، ويسع المرء أن يرجح أياً منها بشرط الاعتماد على صحيح المنقول وصريح المعقول، وكل ما نخرج به هو أنه كان هناك ابتلاء من الله وفتنة لنبي الله سليمان (عليه السلام) في شأن يتعلق بتصرفاته في الملك والسُّلطان كما يبتلي الله أنبياءه ليوجههم ويرشدهم، ويبعد خطاهم عن الزلل، وأن سليمان (عليه السلام) أناب إلى ربه ورجع، وطلب المغفرة، واتجه إلى الله بالدعاء والرجاء.

(١) انظر: عبدالفتاح، المثنى، نظرية السياق القرآني – دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م)، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٢) انظر: قصص القرآن الكريم، ص٦٤٩.

الخاتمة

من خلال دراستي لقصة سليمان (عليه السلام) في سورة (ص) توصلت إلى ما يلي:

أولاً: الموضوع المحوريّ الذي تدور حوله آيات سورة (ص) وثيق الصلة بالعقيدة؛ فهي تتكلم عن نبوة محمد (ﷺ)، وما يثيره المشركون من شبهات وشكوك حول ذلك، وبيان عاقبة المؤمنين والمكذبين به.

ثانياً: ذكرت سورة (ص) عدداً من الأنبياء (عليهم السلام)، وما منَّ الله تعالى به عليهم من نعمة بالغة، وهبات سابغة، فالسورة تذكر داود وسليمان وأيوب وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذا الكفل وآدم (عليهم السلام).

ثالثاً: الراجح في معنى قوله تعالى: {فطفق مسحاً بالسُّوقِ والأعناق} أن سليمان (عليه السلام) صار يمسح على سيقان الخيل وأعناقها؛ ملاعبةً منه للخيل وتكريماً لها، وإظهاراً لاهتمامه بها ومحبته لها. وليس كما ذهب بعض المفسرين إلى أن سليمان (عليه السلام) عرضت عليه الخيل في وقت العشي وبدأ يتفقدها، وكانت من الكثرة بحيث شغلته عن صلاة العصر حتى غربت الشمس وتوارت بالحجاب، ثم أراد أن يكفِّر عما حدث منه من ذنب فبدأ يقطع سوق الخيل وأعناقها.

رابعاً: قوله تعالى: **{ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب}** يشير إلى أن هناك ابتلاء من الله وفتنة لنبي الله سليمان (عليه السلام) في شأن يتعلق بالملك والسُّلطان كما يبتلي الله أنبياءه ليوجههم ويرشدهم، وأن سليمان (عليه السلام) أناب إلى ربه ورجع، وطلب المغفرة، واتجه إلى الله بالدعاء والرجاء. وأما تحديد الفتنة وكيفيتها فيسع الباحث أن يرجح ما يصل إليه اجتهاده، بشرط الاعتماد على صحيح المنقول وصريح المعقول، وتجنب الإسرائيليات في تفسير كتاب الله (عز وجل).

المصادر والمراجع

- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط١، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبدالباقي وقصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
- الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر، عناية القاضي وكفاية الراضي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، البيان في عدّ آي القرآن، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٩٩٤م، ص٢١٤.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.
- الرقب، أحمد سليمان عوض، سورة (ص) دراسة تحليلية وموضوعية (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف الدكتور أحمد شكري، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦.

- الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ٢٠٠١م.
- السيوطي، عبدالرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفِكر، ١٩٨٨م.
- عباس، فضل حسن، قصص القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، ط١، ٢٠٠٠م.
- عبدالفتاح، المثنى، نظرية السياق القرآني – دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م).
- الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الملخص عربي	٥
الملخص انجليزي	٧
تمهيد	٨
المبحث الأول: سليمان (عليه السلام) والصافنات الجياد	١٢
المبحث الثاني: سليمان (عليه السلام) وفتنة الجسد	٢٠
الخاتمة	٢٥
المصادر والمراجع	٢٦
فهرس الموضوعات	٢٨